# العلماء والدور المفقود

بقلم الشيخ : عيسى بن سعد آل عوشن

لأهل العلم وزنهم وقدرهم في الشريعة ولهم فضلهم الذي قررته نصوص الكتاب والسنّة ذلك أنهم مصابيح الدجى ومعالم للهدى يستنير بهم الناس في ظلمات التيه ليبصروا نور الله ..

ولكنَّ هذا الفضل وتلك المنزلة التي – حباها الله العالم – تنتزع منه إذا كتم الحق و لم يبين للأمة ما أشكل عليها من أمور دينها ودنياها ، وتنتزع منه كذلك إذا بدّل وحرَّف آيات الله وبدأ يقلب النصوص الشرعية ويضعها في غير موضعها ، وتنتزع منزلة العالم وفضله كذلك متى ما كذّب فعله قوله و لم يعمل بعلمه ، هذه الحالات الثلاث التي تنتزع فيها منزلة العالم وفضله بل وأجر علمه نصّت عليها نصوص الكتاب والسنّة ..

> **منزلة العالم وفضله تنتزع منه إذا كتم الحق ، أو لبس الحق بالباطل ، أو خالف فعله قوله ، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنّة ...**

فالعالم الذي يكتم العلم ولا يقول كلمة الحق قال الله تعالى فيه : " ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** ﴾ (البقرة:١٥٩)

انظر بدلاً من الدرجات العالية وتسبيح الحيتان له في الماء رضى بما يصنع ، ينقلب الجزاء إلى لعنة من الله ومن الملائكة ومن الناس أجمعين .

وقد ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار " والذي في الصحيح عن أبي هريرة أنه قال: لولا آية في كتاب الله، ما حدثت أحداً شيئاً ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ﴾ الآية

والعالم الذي يحرف النصوص الشرعية عن مرادها لهوى في نفسه أو لتحقيق رغبة مخلوق ، جاء فيه الوصف بأنه يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .. روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا **يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا** قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

قوله ( يبيع أحدهم دينه ) أي بتركه ( بعَرَضٍ ) أي بأخذ متاع دنيء وثمن رديء . قال بعض الشرَّاح : فيه وجوه : أحدها أن يكون بين طائفتين من المسلمين قتال لمجرد العصبية والغضب ، فيستحلون الدم والمال . و ثانيها أن يكون ولاة المسلمين ظلمة ، فيريقون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم بغير حق ، ويزنون ويشربون الخمر ، **فيعتقد بعض الناس أنهم على الحق ويفتيهم بعض علماء السوء ، على جواز ما يفعلون من المحرمات ، من إراقة الدماء وأخذ الأموال ونحوها** . و ثالثها ما يجري بين الناس مما يخالف الشرع في المعاملات والمبايعات وغيرها فيستحلونها [1].

[1] تحفة الأحوذي كتاب الفتن.

وأما العالم الذي يخالف قوله فعله فهو على خطر عظيم قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾

وكما قيل :

**وعالمٌ بعلمه لم يعملنْ　　معذّبٌ من قبل عبّاد الوثن**

وليس مجال الكلام هنا حول العالم إذا تخلى عن مسؤوليته وواجباته الشرعية ماذا يحلّ به أو ما يكون عليه حاله فهذا بيّنٌ وظاهر والله تعالى وصف العالم المعرض عن آيات الله والناكص على عقبيه بعد أن استبان له الحق بأنه مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ومثّل العالم الذي لا يعمل بعلمه ولم يتحمل مسؤوليته بأنه كمثل الحمار يحمل أسفارا ..

ولكنَّ الحديث هنا عن دور العلماء وبخاصة الذين في الجزيرة العربية الذي تفتقده الأمة وهو من صميم الواجب الذي فرضه الله عليهم ، ولا شك أنَّ أهم تلك المهمات بيان عقيدة التوحيد وترسيخها في قلوب الناس : من إفراد الله بالعبادة دون غيره ، والتحاكم إلى شرعه سبحانه وتعالى ، وترسيخ الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين .

لا مجرد كلام مبهم لا يزيد الجاهل علماً ولا بصيرة ، بل يجب على العلماء بيان الموقف من الشرك بالله وعبادة القبور في بلد محمدٍ صلى الله عليه وسلم والإنكار على الرافضة وعلى من يحمي الرافضة وبيان حكم الله في الجنود الذين وضعوا هناك لحماية الشرك وبيان شرعية حكومة آل سلول التي سهلت لهم ذلك بل وقامت على حمايتهم إلى غير ذلك من منكرات الشرك الفضيعة التي لم نسمع من ينكرها علانية ممن نصبوا أنفسهم أوصياء على الشريعة ..!!.

يجب على العلماء بيان حكم الله في المحاكم الوضعية القانونية التي يحكم فيها بغير ما أنزل الله تعالى من محاكم عسكرية يتحاكم إليها جميع العساكر من أهل هذه البلاد ومحاكم تجارية يتحاكم إليها التجار ، وغير ذلك من أنظمة وقوانين وضعية تفصل بين الناس في خصوماتهم ، فأين بيانهم الشافي الكافي بوضوح وبدون إبهامٍ أوتضليل سواء في حكم تلك القوانين بمسمياتها اليوم أو حكم من وضعها وسنها للناس وألزمهم بها من حكام هذه البلاد .

ويجب على العلماء بيان وجوب نصرة المؤمنين في كل مكان وزمان لا الحديث عن نصرة المؤمن الذي يرضى عنه آل سلول دون غيره ، فالمشرِّع والآمر هو الخالق وليس آل سلول وسفهائهم .

أين الحديث عن مناصرة المجاهدين الذين يتخطفهم الكفار من كل جانب ، في كل بلاد ودولة حتى في أرض الحرمين فأين بيان الواجب الشرعي تجاههم — ناهيك عن السعي في البحث عنهم وإقناعهم بتسليم أنفسهم للطواغيت مما هو من فعل من لا خلاق له ولا أخلاق — .

أين الكلام وبوضوح عن حكام الخليج الذين أعانوا الكفار على المسلمين سراً وعلانية بكل ما أوتوا من قوة عسكرية ومالية وغيرها ، فأين بيان حكم الله فيهم وبيان الموقف منهم بصراحةٍ ووضوحٍ يهتدي به عامة الناس من تضليل الحكام الخونة .

أين بيان وجوب البراءة من الكافرين ووجوب حربهم وقتالهم والقعود لهم كل مرصد خاصة وأنهم قد صالوا على الأراضي والأنفس و الحرمات والأموال المسلمة بغياً وعدواناً فأين تحريض الأمة على جهادهم وبالأخص جهاد أئمة الكفر منهم ؛ أمريكا وحلفائها .

أين الكفر بالطاغوت وبيانه للناس وبيان حكم أهل الردَّة الذين خرجوا من الدين بالكلية ، وظاهروا الكفار وأصبحوا من حزبهم ؛ من حكام الجزيرة العربية وأعوانهم ، فأين الكلام عليهم بدلاً من ثني الناس عن تكفيرهم وترديد مقولة : " إن الله لن يسألك يوم القيامة لم لم تكفرهم " ألم تعلموا قول الإمام المجدد الذي تفتخرون به وبين أكثركم وبين منهجه القولي والعملي بعد المشرقين حيث قال رحمه الله تعالى

: ( فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره أسه ورأسه وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، واعرفوا معناها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين ، **واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم أو قال ما علي منهم ، أو قال ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى ، بل كلفه الله بهم ، وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه وأولاده**. فالله الله ، تمسكوا بأصل دينكم لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً..) [مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان: ٥٣]

أني لأتعجب من إصدار من يتسمى بالعلماء لدينا فتوى في أحمد البغدادي بالكويت بأنه مرتد لأنه قال أن النبي صلى الله عليه وسلم : " فشل في الإصلاح الاجتماعي " ، في الوقت الذي يرفضون رفضاً شديداً الحديث عن كفر تركي الحمد الذي يسب الدين والذات الإلهية بألفاظ شنيعة بل والأدهى من ذلك الذي نصَّب نفسه مدافعاً عن هذا الزنديق الضال ..!!

**منزلة العالم وفضله تنتزع منه إذا كتم الحق ، أو لبس الحق بالباطل ، أو خالف فعله قوله ، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنّة ...**

أم أن السعودة مانعٌ من موانع التكفير استحدثه هؤلاء ..!!

أين واجب العلماء من تطهير جزيرة العرب من رجس الصليبيين الذين لم يدخلوها ويسكنوا فيها فحسب بل وجعلوها أرضاً عسكرية لهم مليئة بالجنود والعتاد العسكري لغزو بلاد المسلمين وحماية إسرائيل من المجاهدين ..

أين من يتغنون بأمجاد الصحابة والمجاهدين الأُول ..

أين من يزعم الاتباع ، وينهى عن الابتداع ..

أين العلماء الغيورون على الأمة ودينها ، لا الساعون في مصالحهم الشخصية ، وشهواتهم النفسية ..

إنَّ جحافل جيوش المغول أيام سقوط بغداد واكتساحهم بقاع شتى من بلاد الإسلام آنذاك لم يوقفه دعاة في المساجد يعظون في الرقائق ، ولا فقهاء يدرسون مسائل الفقه ودقائقه ، ولا محدثون يدرسون الإسناد وعلله .. كلا بل كل هذه الأصناف مادام قصاراها الأقوال لا الأفعال فلن تغني عن الإسلام شيئاً ..فبغداد يوم دخول التتار إليها مليئة بالعلماء والقضاة والمكتبات العلمية وذوي الشأن ولكنهم لَّما أعرضوا عن أمر الله تعالى بالجهاد والدفاع عن حياض الدين قتلوا شرَّ قتله ، بل ورميت كتبهم في الأنهار لتختلط بالدماء والماء ..!!

أيها العلماء لا تزينوا قعودكم عن الجهاد في سبيل الله بالمصلحة ، وتزينوا صمتكم عن قول كلمة الحق بالحكمة .. فسيد الشهداء حمزة ورجل قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله ..

أيها العلماء دونكم أمّة الإسلام التي تنتقص من أطرافها ، فذودوا عنها بالفعال والأقوال ، فلربما كتب الله على أيديكم نصر الإسلام والمسلمين ولكم في العز بن عبدالسلام أسوة حسنه لما قاتل التتار في معركة عين جالوت ، وفي شيخ الإسلام ابن تيمية لما شارك في وقعة شقحب وغيرها مجاهداً للتتار .. فهؤلاء حقاً هم العلماء الذين بعلمهم يعملون ولدينهم ينصرون ، ولحرمات المسلمين يدافعون .

أيها العلماء إني أحذركم سخط الله وعذابه :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾

وأخبركم بأنكم في الوقت الذي تخذلون فيه الأمة ، وتعرضون عن الواجب الشرعي المناط بكم ؛ فإن الدين لا محالة منصور بغيركم كما قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٥٤)

أيها العلماء كفى غفلة عن الله والدار الآخرة ، كفى سعياً وراء لذات الدنيا ، كفى ذلاً وخنوعاً للطواغيت ، يكفينا ما مضى من زمان أن الدنيا هي التي تسيرنا ، فبالوظائف الدنيوية لاهون ، وعن ما أراد الله لنا من الواجبات منشغلون ..

فوالله لزوال الدنيا وملذاتها وفقد الأهل والأولاد أهون على نفس المؤمن من أن تنتهك حرمة الدين وهو في موقف المتفرج الذي لا يحرك ساكناً ..

يا علماء الجزيرة .. سمعنا منكم قبل سنين أن علماء مصر وغيرها من بلاد المسلمين يفتون للحاكم بما أراد ولو كان تحريم حلال وتحليل حرام ، فدار الزمان وأصبح علماء السلطان لدينا لا يشق لهم غبار في هذا المضمار ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

سمعنا منكم الحديث عن الأفغان والطالبان وأنهم لا ينكرون على أهل القبور ، بل وأخذ البعض منكم على بعض المجاهدين العرب أنهم لا ينكرون هناك على القبور ، فجاء الإبتلاء من الله لكم ليعلم صدقكم وغيرتكم على ملّة التوحيد فجاء الشرك ظاهراً من دعاء للأموات وسبٍّ للصحابة على مرأى ومسمعٍ من الناس كلهم في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نكير ولا ناطق بالحق منكم فأينكم يا أهل العقيدة إن كنتم صادقين ، وأينكم يا أهل التوحيد إن كنتم صادقين [1] ..

فضلاً عن سبِّ الدين ، والاستهزاء بالصالحين من قِبَلِ المنافقين والمرتدين ، الذين لم يجدوا من يوقفهم ولو بكلمة الحق في حكمهم وحكم أفعالهم ... فعجباً من حالكم ، ويا أسفى على علمكم ..

تكلمتم بالعقيدة نظرياً فلما جاء الواقع أحجمتم وصار ما تعلمونه الناس في السابق حبراً على ورق ، وتكلمتم في الجهاد والسير والمغازي فلما جاء الغزو اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل..

يا أيها العلماء علمكم الذي جمعتموه : إما حجة لكم أو حجة عليكم ، وهو إما عزٌ لكم وفخار أو عار عليكم وشنار ، فالله عز وجل ليس بينه وبين أحدٍ حسب ولا نسب ، فأروا الله من أنفسكم لأمتكم خيراً ..

فإن أحجمتم عن الجهاد وسكتم عن قول كلمة الحق ، فلا تقولوا الباطل ولا تخذلوا الأمة وتثنوها عن الجهاد في سبيل الله تعالى ، ولا تتعاونوا مع الطواغيت ضد المجاهدين ، ولا تضفوا الشرعية على مرتد يحكم بغير ما أنزل الله ويوالي أعداء الله ويعينهم على المسلمين .

وأختم كلامي لكم بما قاله شيخ المجاهدين أسامة بن لادن حفظه الله : " وإن تعجب فعجبٌ قولُ بعض دعاة الإصلاح بأن طريق الصلاح والدفاع عن البلاد والعباد يمر بأبواب هؤلاء الحكام المرتدين ، فأقول لهؤلاء : إن كان لكم عذرٌ في القعود عن الجهاد ، فهذا لا يُبيحُ لكم أن تركنوا إلى الذين ظلموا فتحملوا أوزاركم وأوزارَ من تُضِلّون ، فاتقوا الله في أنفسكم ، واتقوا الله في أمتكم ، وإن الله تعالى غنيٌّ عن مداهنتكم للطغاة من أجلِ دينه ، وقد قال سبحانه : ﴿ **فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾ ولأَنْ يقعدَ المرءُ في أدنى طريقِ الحق خيرٌ له من أن يقفَ في أعلى طريق الباطل "

[1] ويا ليتهم بذلوا في إنكار هذا الشرك العظيم معشار ما بذلوه في إنكار الدمج .